

أما من تقاعسوا عن الجهاد رهبة فقد خرجوا عن طاعة المولى جل وعلا، لأنه أمر به وحذر من التخلف عنه ولا غرو فقد عرفنا صلته الوثقى بالدين الحنيف.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اتاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير﴾.

في هذه الآية يقبل - جل وعز - بالعتاب على من يتناقلون عن القتال مع النبي ﷺ، وفي هذا ما فيه من حتمية أن يخفوا إلى الجهاد معه؛ وذلك لوثاقة صلتهم به ولأنهم يمشون في خطاه ويرون فية الأسوة. إنه يكره منهم هذا التراخي وذلك الإحجام عن القتال.

ويتجاوز هذا العتاب إلى الوعيد بألم العذاب، وبذلك يكون التدرج في توعيته للمؤمنين وتبيان أنهم بإحجامهم عن القتال إنما يأتون وسوف يجزون على إثمهم.

ونلتفت إلى البيضاوى في شرح الآية الكريمة فهو القائل: (اتاقلتم) أى تباطأتم وقرئ (تناقلتم) على الأصل و(أناقلتم) على الاستفهام والتوبيخ.

وكان ذلك في غزوة تبوك، وأمروا بها بعد عودتهم من الطائف في وقت شدة وشدة قيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو، ويمضى البيضاوى في التفسير فيقول إنما معنى قوله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ أى غرتكم الدنيا بدل ما في الآخرة من نعيم، كما يقول إنهم إذا لم ينفروا يعذبهم الله تعالى بالإهلاك، كالحقظ، وظهور العدو. أما استبدال قوم غيرهم أى أن الله يستبدل بهم آخرين مطيعين كما أن تناقلهم لا يؤثر في نصره الدين شيئا أى شيء فالله غنى عن كل شيء وفي كل أمر.

وقيل إن الضمير خاص بالرسول ﷺ أى لا يضره، لأن الله وعده بالعصمة والنصرة ووعدته حق، والله يقدر على التغيير والتبديل لأنه على كل شيء قدير^(١) ونحن نعى الكثير من تلك الآية وتفسيرها لأنها أوضحت بما لا ريب فيه فضل الجهاد وأهميته وأكدت أنه محتّم لازم على المؤمن. وحرى إذا دعا داعى الجهاد أن يحث إليه خطاه، ويقبل عليه إقبال مستشر به مستوجب له، وهو ما لم يخف إليه أخذه الله بالعقاب، وكره منه الإحجام عنه

(١) البيضاوى: تفسير البيضاوى ص ٢٥٤ القاهرة ١٣٠٥ هـ